المحاضرة الثالثة
الأمثال والحكم

1/ مفهوم المثل:

يعرّفه المبرّد على أنه قول سائر يشبِّه به حال الثاني بالأول والأمثل فيه التشبيه، ويرى إبراهيم النظام أنه يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة.

يعود اهتمام العرب بالأمثال إلى فترة الجاهلية، وإن لم يدون في شأنها كتاب، لكن تداولها سمح ببقائها إلى ما بعد ذلك العصر، حيث اهتم علماء الإسلام بجمع الأمثال العربية وبذلوا مجهودات معتبرة لشرحها وإيضاح الجوانب الغامضة منها، نحو كتاب **الفاخر في الأمثال** للمفضل بن سلمة، **ومجمع الأمثال** لأبي الفضل النيسابوري، **وكتاب الأمثال** للأصمعي، **والأمثال والحكم** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي وغيرها من الكتب التي أفردت لهذا الموضوع، أو جاءت كأبواب في كتب أخرى. وتعتبر الأمثال من أقدم الثقافات الشعبية التي تتلاءم مع أذواق الناس وعقولهم، مهما كان مستواهم.

المثل إذن: قول مأثور قديم، موجز العبارة ، قيل لتصوير حادثة معينة أو موقف ما، أي أن له قصة خاصة به، ثم تداوله الناس واستعملوه في مواقف مشابهة.

وللمثل مورد ومضرب:

المورد: هو أصل القصة التي قيل فيها لأول مرة.

المضرب: هو الحال التي يستعمل فيها فيما بعد.

2/ مفهوم الحكمة:

هي قول موجز مشهور، صائب الفكرة، دقيق التعبير، يهدف إلى الخير والصواب، يعبّر عن خلاصة خبرة صاحبها بالحياة، وهي صالحة لكل زمان ومكان، وتشترك مع المثل في الإيجاز والصدق وقوة التعبير وسلامة الفكرة، في حين تختلف عنه في أمرين:

- الحكمة لا ترتبط أساسا بحادثة أو قصة.
- تصدر عن إنسان له خبرة وتجربة في الحياة.

بدأ العرب في تدوين أمثالهم وحكمهم منذ أوائل العصر الأموي، وأكثر تلك الحكم والأمثال لا يعرف أصحابها. جاءت بأسلوب سهل، لا أثر للصنعة اللفظية فيها، لكنها مسبوكة بطريقة جيدة، أحيانا تأتي موزونة لكونها اقتطعت من أبيات شعرية، نحو قول: (رضيت من الغنيمة بالإياب)، وهي في الأصل مقطع من بيت لامرئ القيس يقول فيه:

لقد طوّفتُ في الأفاق حتى** رضيت من الغنيمة بالإياب

وتقال عن الشخص الذي يشقى في طلب الحاجة، فلا يدركها ولا يرى في مكانها إلا الأهوال، عندئذ يرضى بالخلوص سالما. وأحيانا تخرج عن النظام اللغوي المتعارف عليه مثل: مكره أخاك لا بطل، ففي معركة بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية، خرج علي ورمى درعه وقال من يبارز، فلم يقبل أحد مبارزته، فقال معاوية لعمرو بن العاص: اذهب وبارزه، وأصر على ذلك حتى خرج إليه عمرو ولما وصل أمام علي رمى سيفه أرضا وقال: مكره أخاك لا بطل، فضحك علي وتركه عائدا إلى جيشه.

3/ خصائص الأمثال والحكم:

- الإيجاز وقلة الألفاظ.
- كثرة المعاني وسهولتها ووضوحها.
- خلوها من التكلف.
- جمال الصياغة وحسن التعبير.
- جزالة اللفظ وقوة التركيب.
- فصاحة وبلاغة العبارة.
- قوة التأثير.

4/ أهمية الأمثال والحكم:

للأمثال والحكم مكانة كبيرة لدى العرب، لأنها تجمع خلاصة تجاربهم، وبها تنطق ألسنتهم وتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والوطنية والأخلاقية، وتترجم واقعهم.

إنه بتوظيف الأمثال والحكم تزداد المعاني ظهورا ووضوحا، لذلك وظفت في كل مجالات الحياة حيث لا يخلو موقف من الحياة إلا ونجد له مثلا قد ضرب فيه.

5/ أنواع الأمثال والحكم:

انتشرت الأمثال والحكم بقوة منذ العصر الجاهلي بسبب رغبة الناس الاستفادة من التجارب السابقة، وتنقسم الأمثال والحكم إلى نوعين **حقيقية** لها أصل وقائلها معروف، و**فرضية** يجهل قائلها.

6/ أمثلة عن الأمثال الحقيقية:

- **قطعت جهيزة قول كل خطيب:**

جاء قوم يحاولون الصلح بين حيين بعد أن قتل أحدها الآخر، طالبين منهم قبول الدية، وهم في نقاشهم جاءت جهيزة وهي أَمَة وهي تقول أن القاتل قد قتل من قِبل بعض أولياء المقتول، فقالوا: قطعت جهيزة قول كل خطيب. أي لا جدوى من النقاش إن كانت الأمور قد حسمت من قبل.

- **جزاء سنمار:**

بنى سنمار وهو من الروم قصرا للنعمان، ولما أنهى بناءه رماه النعمان من أعلى القصر حتى لا يبني قصرا مثله لغيره. وتقال على من يجزي الإحسان بالإساءة.

- **الصيف ضيعت اللبن:**

تزوج عمرو بن عمرو وهو شيخ كبير بابنة عم له، لكنها لم تطقه على الرغم من سخائه وكرمه عليها، فطلقها وكان ذلك في الصيف، وتزوجت من فتى جميل لكنه لا يمتاز لا بالشجاعة ولا الكرم، توفي خوفا بعد أن أغارت إحدى القبائل عليهم، فأُخذت المرأة كسبية، ولما سمع الشيخ بالأمر أرسل فرسانه ليفكوا أسرها، ثم تزوجت من شاب فقير، واشتهت شرب الحليب، فرأت قافلة تمر أمامها، فطلبت منهم بعض اللبن، فرد صاحب القافلة وهو زوجها السابق قائلا لها: في الصيف ضيعت اللبن.

- **على أهلها جنت براقش**

براقش كلبة لقوم من العرب اختبأت مع أهلها خوفا من الغزاة، ولما همّوا بالعودة، نبحت براقش، فاستدلوا بنباحها وقضوا عليهم. وتقال على من يقوم بعمل يضرّ به نفسه أو أهله.

- **رجع بخفي حُنين**

حُنين هو صانع أحذية قدم إليه أعرابي لشراء خفين، وبدأ المساومة حول السعر، واستمر الأمر لوقت طويل لدرجة أن بقية الزبائن خرجوا من الدكان، وفي الأخير لم يشتر الرجل الخفين وغادر المحل.

اغتاظ حنين من ضياع يومه بسبب ذلك الأعرابي، فقرر الانتقام منه، حيث سبق الرجل ووضع أحد الخفين وسط الطريق، وبعد مسافة من ذلك وضع الخف الآخر، وأخذ ينتظر. عندما وصل الأعرابي ووجد الحذاء الأول؛ قال أنه يشبه خفي حنين لكن خفا واحدا لا فائدة منه، فتركه وواصل طريقه إلى أن وصل إلى الخف الثاني، فقال عليّ أن آتي بالخف الأول، فربط دابته في المكان وكانت محملة بالأغراض والهدايا، عائدا لجلب الخف الأول، فأخذها حنين وهرب بها، ولما عاد الأعرابي ولم يجد دابته عاد إلى أهله راجلا، فارغ اليدين، ولما علموا بما حلّ به قال أحدهم: عاد بخفي حنين.

ويقال المثل عن الشخص الذي فشل في تحقيق أمر ما، أو الشخص الذي لم يتعب نفسه من أجل المقاومة على ممتلكاته فضاعت منه.

7/ أمثلة عن الأمثال الفرضية:

- يداك أوكتا وفوك نفخ

يقال أن شخصا علق بجزيرة، فصنع زورقا من الجلد ونفخ فيه لكنه لم يحكم إغلاقه جيدا، ولما وصل إلى عرض البحر خرجت الريح من الزورق، فطلب النجدة، فقال له رجل كان بالجوار: يداك أوكتا وفوك نفخ. ويقال المثل عن الشخص الذي يضع نفسه في المصائب.

8/ أمثلة عن الحكم:

- رب ملوم لا ذنب له (التحقق قبل اللوم)
- أدب المرء خير من ذهبه (قيمة الإنسان بأدبه لا بماله)

9/ مواضيع الأمثال والحكم:

- **الصبر**: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة/ طول البال يهدم الجبال.
- **الشجاعة**: عش عزيزا أو مت كريما / ليست الشجاعة أن تقول ما تعتقد، بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقوله.
- **الحب والغيرة**: الإهمال يقل الحب، والنسيان يدفنه/ الغيرة مسألة كرامة وليست مسألة حب.
- **الحكمة**: لا تتحد إنسانا ليس لديه شيء يخسره / لا تطعن في ذوق زوجتك فقد اختارتك أولا .